دور المرأة في حمل الدعوة

محمد حسين عيسى

قطر الندى

2
د

دور المرأة في حمل الدعوة

تأليف:
محمد حسين عيسى

تقديم:
الشيخ/ محمد عبد الله الخطيب

قطر الندى

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ

رقم الإيداع: ١٨٨٦٦/ ٢٠٠٦

الترقيم الدولي: *977-6137-19-9*

قطر الندى **للنشر والتوزيع**

ص. ب ١٥٤ الأورمان جيزة

الرمز البريدي ١٢٦١٢

ت/ ٠١٠٦٠٩٩٥٣٨

katrelnada@gawab.com

الإهـــداء

إلى أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها أول زوجة وفية بارة مؤمنة، وقفت تصدق زوجها وتسانده فى الشدائد، وتقول له فى ثقة وإيمان وثبات ويقين: «كَلا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ» وإلى كل مؤمنة تقف اليوم هذا الموقف، وتؤدى هذا الدور، وترقى إلى هذا المستوى، وتوقن هذا اليقين، أهدى هذا الكتاب.

المؤلف

تقديم الشيخ الخطيب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

فإن كتاب (دور المرأة فى حمل الدعوة) قد تناول جوانب طيبة من حياة السابقات إلى الإسلام، بدءًا بأم المؤمنين خديجة -رضى الله عنها- وموقفها العظيم من رسول الله ﷺ، ومنزلتها فى الإسلام، ووفاء الرسول ﷺ لها، وذكره لها، وقد اشتملت الرسالة على نخبة عظيمة من هؤلاء المؤمنات، ممن حملن دعوة الله وواجهن المشقات والمتاعب، وشاركن فى الهجرة الأولى إلى الحبشة، ثم فى الهجرة الكبرى إلى المدينة، لإقامة دولة الإسلام، وشاركن فى كل معارك الإسلام الفاصلة، وبايعن رسول الله ﷺ.

والإسلام ينظر إلى دور المرأة فى حمل الدعوة من خلال نظرته إلى وضع المرأة، فالمرأة إنسان كالرجل تمامًا، وكل منهما له حقوق وعليه واجبات، يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وأُنثَى﴾ [من الآية ١٢ من سورة الحجرات]، والله سبحانه يوجه أمره فى القرآن الكريم إلى

المؤمنين رجالاً ونساء، بصفة عامة، فقد فرض نفس الواجبات -سواء فى العبادات أو فى المعاملات- على الجميع، فجميع العبادات من صلاة وصوم وحج فريضة على الرجل والمرأة على السواء، وكذلك كل الأحكام التى تتعلق بالحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية، والله ﷻ يحاسبهم ويجازيهم على قدم المساواة.

قال الله ﷻ: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ [من الآية ١٩٥ من سورة آل عمران]، وقال ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ولَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

وألزم الإسلام الزوج بحسن معاشرتها وأمر بالإحسان إليها، ففى الحديث الصحيح: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي» [الترمذي] والمرأة فى الإسلام ذات سلوك دينى، وهذا يتحقق بالمحافظة على نفسها، فلا تتهاون فى إظهار ما حَرُمَت رؤيته، بل تتمسك فى مظهرها بالواجب عليها كمسلمة.

ولقد ذكر المؤلف فى هذه الرسالة نماذج للمسلمات فى صبرهن، فأشار إلى الفترة الأولى فى تاريخ الإسلام، وإلى فاطمة بنت الخطاب -رضي الله عنها- وموقفها من أخيها عندما علم بإسلامها وإسلام زوجها، واقتحم عليهما البيت، وكان عمر قد سمع صوت قارئ القرآن، فقال لها: ما هذا الصوت الذى سمعته؟ قالت له: لا شىء، وهنا ضربها وجرحها، فوقفت فى وجهه مؤمنة قوية، قالت: لقد أسلمنا

وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك؟ وكان هذا الموقف القوى منها من أسباب إسلام عمر بن الخطاب ﷺ.

وأشار المؤلف إلى سمية -رضي الله عنها- أول شهيدة فى الإسلام، ففى رواية للبيهقى: «مات ياسر (زوج سمية) من العذاب، وأغلظت سمية لأبى جهل، فطعنها فى قُبُلها فماتت، ورُمِي عبد الله (ابن لسمية) فسقط».

وكان الرسول -صلوات الله وسلامه عليه- يمر بهم فيقول: «صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة»، فهذه أول شهيدة فى الإسلام بُشِّرت بالجنة، كما أن خديجة -رضى الله عنها- أول من بُشِّرت بالجنة.

وهكذا يتتابع موكب العاملات لدعوة الإسلام فى الصدر الأول، يحمل لنا أمثلة للعطاء، ونماذج للصبر وتحمل أعباء الدعوة، والاستشهاد فى سبيلها، والصدق فى المواقف، والإيمان بالله الذي يفوق الوصف، والتضحيات التي لا تقل عن تضحيات الرجل.

وهكذا تكون المرأة فى الإسلام.. فهى الأم والأخت والزوجة، والعنصر النافع فى المجتمعات، وقبل ذلك تقف وراء زوجها تعينه وتسدده، وتمسح آلامه، وتخفف عنه من أعباء الحياة، وتشارك فى الميدان الاجتماعى والثقافى والجهادى والدعوى، وتقف فى المسجد تراجع الخليفة، وتقدم المشورة، وفي كل هذه الميادين توجد المرأة التى استقامت مع ربها وصدقت مع إسلامها،

وأعطت لبيتها وأولادها ومجتمعها الكثير الكثير.

ومجتمعاتنا اليوم فى أشد الحاجة إلى المرأة المؤمنة بالله، التى تفقه دينها وتعرف ربها وتلتزم بدورها الكبير على نهج ومنوال من سبقنها على الدرب، وهن كثيرات فى هذا الموكب الكريم.

والله أسأل أن ينفعنا بهذا العطاء إنه سميع مجيب..

محمد عبد الله الخطيب

المقدمة

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام، فإن ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله، أما بعد..

إن الإسلام يرتفع بقيمة المرأة وكرامتها، باعتبارها ابنة وزوجة وأمًّا وعضوًا نافعًا في المجتمع، وقبل ذلك كله باعتبارها إنسانًا، فالمرأة مكلَّفة كالرجل، مخاطبة بأمر الله ونهيه مثله، مثابة ومعاقبة، كما يثاب الرجل ويعاقب.

وإننا في هذا الكتاب نحاول فتح آفاق المشاركة الإيجابية الواعية أمام المرأة، وإتاحة الفرصة لها لتؤدي دورها في حمل دعوة الحق أسوة بأخواتها اللاتي سبقنها في عصور سابقة، من خلال استقرائنا للنصوص المحكمة من الحديث الشريف والسنة المطهرة، والتي تعبر عن روح الإسلام في موقفه من المرأة.

من هذه النصوص ندرك أن المرأة المسلمة شاركت في الحياة الاجتماعية والدعوية، جنبًا إلى جنب مع الرجل، حتى شملت مشاركتها جميع المجالات العامة والخاصة، وذلك استجابة لحاجات الحياة الجادة النشطة، وتيسيرًا على المؤمنين والمؤمنات، ولم يقيد هذه المشاركة سوى مجموعة من الآداب الرفيعة التي تصون ولا تعطل.

فقد شاركت المرأة المسلمة في ميدان التثقيف والتعليم، وميدان البر والخدمات، كما حملت في صدر الإسلام عقيدة تخالف عقيدة أهل مكة وواجهت الاضطهاد والتعذيب، وهاجرت في سبيل عقيدتها، كما تميزت بالاهتمام والوعي بالأمور العامة، وقدمت المشورة في بعض قضايا السياسة حتى وصل بها الأمر إلى مراجعة الخليفة وهو قائم يخطب على المنبر، فيقر الخليفة رأيها ويخطّئ رأيه.

وكان من ثمرات هذه المشاركة نمو وعي المرأة وبلوغها درجة عالية من النضج، وتحقيقها الكثير من أعمال الخير لنفسها ولمجتمعها ولدينها.

وفي عصرنا الحالي نجد أوضاعًا اجتماعية تفرض مزيدًا من مشاركة المرأة في النشاط الاجتماعي والسياسي والمهني، مع احترام القواعد والمعالم التي رسمتها الشريعة والتي تحكم تلك الأوضاع وما إليها أبد الدهر.

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا إلى ما فيه خير أمتنا وعزة ديننا، ويرزقنا الرشاد والسداد، إنه على ما يشاء قدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد حسين عيسى

خديجة بنت خويلد
أوَّل مَنْ آمنت وآزرت

تصديق وتثبيت وتبشير

عَنْ عَائِشَةَ - أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إلا جَاءتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ[1]، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ[2] فِيهِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ[3] إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئ» قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي[4] حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي[5] فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ» فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَقَالَ: «زَمِّلُونِي[6] زَمِّلُونِي»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ[7]، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ

---

(١) فلق الصبح: نوره.

(٢) يتحنث: يتعبد.

(٣) ينـزع: يرجع.

(٤) غطني: ضمني ضمًّا شديدًا.

(٥) أرسلني: تركني.

(٦) زملوني: غطُّوني ولفُّوني.

(٧) الروع: الفزع والخوف.

وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ(١) اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ(٢)، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ(٣)، وَتَقْرِي(٤) الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ(٥) الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنْ الإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ(٦) الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟» قَالَ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ(٧) وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ»(٨).

نِعْم الزوجة خديجة، ففي هذا الموقف الذي هو الغاية في الزلزلة،

---

(١) ما يخزيك: لا يذلك ولا يضيعك.
(٢) الكل: العاجز الفقير الذي يحتاج لمن يعوله.
(٣) المعدوم: المفلس الفقير.
(٤) تقري: تُكرم.
(٥) النوائب: المصائب.
(٦) الناموس: صاحب السر، والمراد جبريل عليه السلام.
(٧) يلبث.
(٨) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي.

نراها من وراء زوجها ﷺ في غاية الثبات: تقول له: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا.. أبشر .. ما أحلى وأنبل أن يسمع الزوج من زوجته في المواقف الصعبة كلمة التأييد والتثبيت والتبشير، فهي تزف له البشرى عند الخوف والحزن؛ لأنها ترى من خلال علمها بخلقه وسابق مواقفه، والجزاء من جنس العمل، وهي تعلم أن سنة الله هي إكرام الكرماء، ونصرة من ينصرون الضعفاء، فوالله لا يخزيك الله أبدًا : إنك وإنك.. إنها - رضي الله عنها - التي آمنت بالنبي ﷺ قبل أي إنسان، بل هي التي بشرته بالنبوة.

لذا صدقته

لم يخامرها الشك فيما رواه، ولو للحظة، ألم يُعرف عند قومه بالصدق والأمانة، وهل اختارته إلا لصدق حديثه وعظيم أمانته وكرم أخلاقه؟ لم لا تصدقه ومعايشتها إياه كشفت عن صفات كفيلة بتأهيله للنبوة والقيادة.

فطنة وذكاء

وعلى الرغم من الفرحة والتفاؤل الذي ملأها لتصديق مقالة الزوج الأمين، فقد راحت تعمل ذهنها سريعًا في البحث عن حكيم يؤمن بدين سماوي كي تطمئن أكثر، فلا أفضل من ابن عمها ورقة. ولم تكتف ببشارة ابن عمها ورقة، فإن حدثًا جليلاً كهذا يحتاج إلى جهد عقلي لا يتوقف عن التفكير لاستخراج أدلة تعين زوجها الحبيب على احتواء دعوته، فقد ورد أنها - رضي الله عنها - قالت

لرسول الله ﷺ: أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال ﷺ: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرني به، فجاءه جبريل عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ: يا خديجة، هذا جبريل قد جاءني، فقالت: قُمْ فاجلس على فخذي اليسرَى، فقام رسول الله ﷺ فجلس على فخذها اليسرَى، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحوَّلْ فاقعد على فخذي اليمنَى، فتحول رسول الله ﷺ فجلس على فخذها اليمنى، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحوَّل فاجلِس في حِجْري، فتحوَّل رسول الله ﷺ فجلس في حجرها، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، فتحسَّرت(١) فألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس في حِجرها، ثم قالت: هل تراه؟ قال: لا، قالت: يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله إنه لَمَلك، وما هذا شيطان(٢).

إن الأمر يخصها لأنه يخص زوجها، لذا فهي منشغلة بالتفكير في الأمر، وهي بعقلها وخبرتها وعلمها احتالت لتصل إلى الحقيقة، فهي تعلم أن الملائكة يستحيون، فلما أخبرها النبي ﷺ بانصراف جبريل حين ألقت خمارها، علمت أنه ملَك.. يا ابن عم، اثبت وأبشر، فوالله إنه لَمَلَك ما هذا شيطان.

ترابط وتعانق

إننا نرى في موقف هذين الزوجين الكريمين مدى التآزر والترابط والتعانق للعلاقة الزوجية، إفضاء للأسرار، وتحمل للأمور الحادثة، ونرى عمق الارتباط

---

(١) تحسَّرت: كشفت عن رأسها.

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ١٢٣، ١٢٤).

والالتقاء النفسي والروحي والجسدي والعقلي، إنها وحدة المصير، فالرؤية للأمور موحدة، والأغراض مجتمعة، والطبائع ملتقية، والأنس متبادل، والعواطف متجاوبة، إنهما الزوجان المتوافقان المتآلفان.. إلى الأبد.

مصير واحد

إنَّ الأمر لا يختص به الرجال دون النساء، إنه أمر نبوة ودعوة ورسالة، وجهاد وتضحيات، يقف فيها النساء مع الرجال في خندق واحد، يجمعهم مصير واحد.

لذا كان الوفاء من الزوج

ومن هنا نفهم وفاء النبي ﷺ لخديجة بعد موتها، حيث كان يُكْثِر من ذِكْرِها والثناء عليها، حتى غارت أم المؤمنين عائشة فقالت للنبي ﷺ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ[١]، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ ﷻ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ: «مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ ﷻ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ ﷻ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ»[٢].

ولذا كان سلام الله وبشرى الملك

كان بيت النبي ﷺ بيت الدعوة، تهيئه وتقوم عليه خديجة -رضي الله عنها- وتنفق عليه من مالها، فلا عجب أن يسلِّم عليها ربها، ويبعث

---

(١) الشدق: جانب الفم، وحمراء الشدق: كناية عن كبر سنها وسقوط أسنانها.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار، حديث السيدة عائشة.

جبريل إلى النبي ﷺ ليبشرها ببيت عظيم في الجنة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ، مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ[١] أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ[٢]، لا صَخَبَ فِيهِ وَلا نَصَبَ[٣].

صدقت بما جاء به زوجها ﷺ من الله، وآزرته على أمره، فكانت أول من آمن بالله ورسوله، فخفّف الله بذلك عن رسوله، لا يسمع بشيء يكرهه من رد عليه وتكذيب له يحزنه، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبته، وتخفّف عليه، وتصدقه، وتهون عليه أمر الناس، رضي الله عنها.

وهكذا نعلم أن أول من آمن بالرسالة امرأة، وأن أول من شارك في الدعوة امرأة، وأن أول من بُشّر بالجنة امرأة.

* * *

(١) الإدام: ما يؤكل مع الخبز من الطعام.
(٢) القصب: اللؤلؤ المجوَّف.
(٣) الصخب: الصوت المختلط المرتفع، والنصب: التعب، والحديث رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب تزويج النبي خديجة وفضلها.

أمُّ سـلمة (١)
المشُـورة والنُّصـح

روى الإمام البخاري بإسناده عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ﷺ في حديث الحديبية: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ(٢)، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا» قَالَ المسور: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ، حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ، نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا(٣).

ثبات فاق ثبات الرجال

ما أجمل أن يتحدث المسلمون والتاريخ عن أم سلمة - رضي الله عنها - بهذا التفخيم لشأنها وعقلها، وتدخُّلها في أمور المسلمين، والمسلمون بينهم نبيهم، وفي حدث كاد أن يهلك فيه كثير من المسلمين،

---

(١) هي أم المؤمنين، السيدة هند بنت أبي أمية.
(٢) الكتاب: أي الصلح الذي عقده ﷺ مع المشركين.
(٣) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب.

بما فيهم عُمر الفاروق ﷺ، حيث يحكي لنا ما فعله من اعتراضه على الشروط التي وافق عليها النبي ﷺ، وجداله الطويل معه، الذي ظهرت فيه أمارات الغضب والغيظ وعدم الرضا، يقول عمر: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: «بَلَى» قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيه، وَهُوَ نَاصِرِي» قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟» قَالَ: قُلْتُ: لا، قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ»(١).

ثقة في محلها

ولم يكتم النبي ﷺ همَّه وحزنه عن زوجه - رضي الله عنها - بل فاتحها فيه، وأخبرها بخبر الناس معه، وهي - رضي الله عنها -لم تكن بمنأى عن الأحداث، حيث خرجت مع زوجها ﷺ ومع المسلمين، وحضرت معهم الوقائع، إن للزوجة مع الداعية إلى الله ﷻ شأنًا في الدعوة، يبوح لها، ويعرض عليها، وتخفِّف من أحزانه، وتحمل معه هموم الدعوة، فالنساء لم يكنَّ مغيبات ولا مستبعدات عن أمور الدعوة وشئون الحياة.

النبي لا يستخف برأي النساء

وهذا نبينا ﷺ -هو أعقل وأعلم خلق الله ﷻ، وبين يديه ما يزيد عن ألف وخمسمائة صحابي- يأخذ بمشورة امرأة في أمر جسيم يتعلق

(١) المرجع السابق.

بالدعوة، ويطلب منها المشورة، فتشير عليه، ويعمل بمشورتها، فيتحقق الخير، وهكذا جلَّى الله ﷻ عن المسلمين هذه الغمة برأي امرأة، حيث كان النبي ﷺ وصحابته ﷺ لا يجنبون النساء أمورهم.

المرأة تشارك في أحداث المجتمع

وكذلك كان النبي ﷺ يطلع زوجاته على ما يستجد من أحداث تمس المجتمع المسلم، ويشاركهن فيها، فعن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ -وَهُوَ أَحَدُ الثَّلاثَةِ الَّذِينَ تِيبَ عَلَيْهِمْ عندما تخلفوا عن غزوة تبوك- قال: فَأَنْزَلَ اللهُ تَوْبَتَنَا عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ حِينَ بَقِيَ الثُّلُثُ الآخِرُ مِنَ اللَّيْلِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مُحْسِنَةً فِي شَأْنِي مَعْنِيَّةً فِي أَمْرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ، تِيبَ عَلَى كَعْبٍ» قَالَتْ: أَفَلا أُرْسِلُ إِلَيْهِ فَأُبَشِّرَهُ؟ قَالَ: «إِذًا يَحْطِمَكُمُ النَّاسُ، فَيَمْنَعُونَكُمُ النَّوْمَ سَائِرَ اللَّيْلَةِ»[1].

فكونها امرأة لم يمنعها من المشاركة والعناية بأمور المسلمين، والنبي ﷺ يخبرها قبل غيرها بتوبة الله ﷻ على كعب وأخويه، وتطلب منه أن يسمح لها بالإرسال إلى كعب لتبشيره، فينصحها النبي ﷺ بالتريث قليلاً، حتى لا يتكاثر عليها الناس، للتحقق والسؤال عما نزل من القرآن في هذا الحادث.

* * *

(١) جزء من حديث، رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب وعلى الثلاثة الذين خلفوا..

سمية بنت خياط(١)
الشَّهيدةُ الأولى

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ(٢).

وفي رواية للبيهقي: فمات ياسر (زوج سمية) من العذاب، وأغلظت سمية لأبي جهل، فطعنها في قُبُلها، فماتت، ورُمي عبد الله (ابن لسمية) فسَقَط.

وكان الرسول ﷺ يمر بهم، فيقول: «صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة».

امرأة وامرأة

كما اختار الله ﷻ امرأة - هي خديجة رضي الله عنها - لتكون أول من آمن بهذا الدين، وأول من يُبشَّر بالجنة، اختار أيضًا ﷻ امرأة أخرى لتكون أول من يدخل الجنة شهيدًا، فالجنة

(١) وقيل: بنت خباط، وبنت خبط، انظر الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، (٤/ ٣٢٧).

(٢) رواه الإمام ابن ماجة في سننه، كتاب المقدمة، باب فضل سلمان وأبي ذر والمقداد.

والسبق إليها، لا يختصان بالرجال دون النساء، والجهاد بالنفس والمال في دعوة الإسلام ليس حكرًا على الرجال دون النساء، وتحمل الأذى والتعذيب والتخويف يقع في سبيل الله على النساء، كما يقع على الرجال.

أسرة مُباركة

الأب (ياسر) والأم (سمية) والابن (عمار) أسرة آمنت بالله ﷻ، وصدقت برسوله ﷺ، بكل عناصرها وأفرادها، لم يخش الأب على ابنه أن يتبع سبيل المؤمنين، ولو كان في ذلك زهوق الروح، ولم تجزع الأم على ولدها رغبة في السلامة من الأذى، بل كانت يدًا وعونًا له، ودافعًا على الإصرار.

أمٌّ وأمٌّ

وأين (أمُّ مصعب) من (أمِّ عمار)؟ حين علمت أم مصعب بإسلامه واتباعه محمدًا ﷺ، ومفارقته دين الآباء والأجداد، بكت وانتحبت، وخشيت وجزعت ونهت، واشتدت في النهي بالتجويع والحرمان.. وأمثالها اليوم كثيرات.

وأما أم عمار، سمية -رضي الله عنها- فقد هشَّت وبشَّت وأيَّدت، بل اندفعت في حماس وقوة، وتجاوزت ذلك إلى إعطاء المثل الأعلى بنفسها.. شهيدة، فكانت النبراس والقدوة.

ثبات لا يزعزعه عذاب

وعُذِّب الجميع في الله - الأب والأم والابن - عذابًا لا تتحمله الجبال، بين قيد ثقيل وغليظ، وجلد بالسياط اللاهبة، التي تشق البدن، وضرب بالعصي الغلاظ، التي تكسِّر العظام، وشواظ من أشعة شمس الصحراء، التي تحرق الجلود، فما هانوا، وما لانوا، ولم يرضخوا لتهديد أو وعيد.

مَوْعِدُكُم الجنة

وكان ﷺ يمر عليهم وهم يُعَذَّبون، فلا يملك إلا أن يُثَبِّتَهُم ويُبَشِّرَهم بقوله: «صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة»، إنه الإقرار من النبي ﷺ لسمية -رضي الله عنها- على مشاركتها بالجهاد بالنفس، وموقفها الباسل في الدعوة، وفي ثباتها وتضحيتها، وعدم تفوهها بكلمة الكفر.

ثبتت مع أسرتها، وضحوا، وماتوا جميعًا، الرجل ياسر، والمرأة سمية، والابن عبد الله، إلا عمارًا، اضطر من قسوة العذاب أن يتفوه بكلمة الكفر لفظًا، حتى ينجو من العذاب، ولكن قلبه مطمئن بالإيمان.

بيت الشهداء الأول

إن البيت كل البيت أمام دعوة الله تعالى أمره واحد، الرجال والنساء والأولاد، ليكون دليلاً وأسوة لكل بيت مسلم في أمة محمد ﷺ، فبات بيت آل ياسر مثالاً للتضحية والشهادة في سبيل الله، وحتى يصبح

قدوة البيوت في المجتمع المسلم، وحتى يمكن أن يطلق عليه - بيت الشهداء الأول- فكما أن الصف المسلم فيه القدوات من الرجال النساء والأبناء، فكذلك المجتمع المسلم فيه القدوات من البيوت، فهنيئا لبيت آل ياسر ببشرى رسول الله ﷺ، فكلهم شهداء، حتى عمار بن ياسر الذي بقي ونجى من موت التعذيب، اتخذه الله شهيدًا في المعارك، بعد عُمْر مليء بالعلم والعبادة والجهاد، وحتى لا يظن ظان أن الجهاد والتضحية في سبيل الله قصرها الله على الرجال وحدهم، وحتى يعلم الناس أن المجتمع الأول من السابقين في هذه الأمة تأسس وأقيم بجهود وتضحيات الرجال والنساء معًا، وذلك سُنَّة للأمة إلى يوم الدين، وحتى لا يظن أحد من الدعاة أن الشهادة والتضحية حكر عليه دون زوجه وولده ووالديه، أو أن من الحكمة تجنيب بيته وأهله مخاوف طريق الدعوة وتضحياته.

* * *

أم شَـــرِيك
ثبات ينجيها ويرغم أعداءها

يقول ابن عباس ﷺ: «وقع في قلب أم شريك الإسلام، فأسلمت وهي بمكة، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرًا فتدعوهن وترغّبهن في الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها، وقالوا: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، لكنَّا نسيِّرك إليهم، قالت: فحملوني على بعير ليس تحتي شيء، ثم تركوني ثلاثًا لا يطعموني ولا يسقوني، وكانوا إذا نزلوا منزلاً أوثقوني في الشمس، واستظلوا هم منها، وحبسوني عن الطعام والشراب، فبينا هم قد نزلوا منزلاً وأوثقوني في الشمس، إذا أنا ببرَد شيء على صدري، فتناولته فإذا هو دلو من ماء، فشربت منه قليلاً، ثم نزع مني فرُفِع، ثم عاد، فتناولته فشربت منه، ثم رُفِع، ثم عاد، فتناولته، ثم رُفِع مرارًا، ثم تُركت فشربت حتى رويت، ثم أفضت سائره على جسدي وثيابي، فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء، ورأوني حسنة الهيئة، فقالوا لي: انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه، قلت: لا والله، ولكنه كان من الأمر كذا وكذا، قالوا: لئن كنت صادقة لدينك خير من ديننا، فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها، فأسلموا عند ذلك»[1].

---

(١) ابن الجوزي، صفة الصفوة، (٢/ ٢٨).

نشر الدعوة بين النساء فريضة

إنه فرض قديم منذ نشأت الدعوة بمكة، أن تقوم المرأة المسلمة بنشر دينها بين النساء، حتى ولو اضطرت أن تقوم به سرًّا، وذلك عندما يضيق أعداء الإسلام على المسلمين، ويمنعونهم من القيام بفرائض الإسلام.

لقد علمت أم شريك -رضي الله عنها- أن عليها دورًا بين بنات جنسها، حتى ولو كنَّ مشركات بالله ﷻ، فقامت به، وهي تعلم الأخطار التي تحيط بها وبدعوتها.

وقد ابتليت إذ علمت قريش بأمرها فأخذوها، وعذبوها بالقيد والترك في الشمس الحارقة، مع التجويع والتعطيش والإيذاء، ثم نفوها بعيدًا عن مكة، فثبتت -رضي الله عنها-.

الفرَج من الله

ولكن الله ﷻ ما كان أيضًا ليتخلَّى عن عباده الصادقين، فيبعث إليها بالتثبيت والفرَج، ويشملها برعايته وعنايته ﷻ، بعدما أبدت من الصبر والثبات الكثير، فيحدث لها كرامة من الكرامات التي يكرم بها ﷻ أولياءه، فيرسل إليها ما يزيل ألمها، ويروي غُلَّتها، ويشرح صدرها.

فَضل وزيادة

وأنعم عليها الله ﷻ بفضل وزيادة منه، فكانت سببًا لإسلام أعدائها الذين آذوها، بعدما رأوا كرامتها عند ربها، فعلموا صدقها، وصدق هذا الدين، وأرغمهم ثباتها على القناعة بدينها الحق.

لبيبة
ثبات الجبال

روى البلاذري والصالحي في السيرة الشامية أن جارية ضعيفة من بني المؤمل اسمها لبيبة، أسلمت قبل إسلام عمر بن الخطاب، وكان عمر يعذبها حتى يَمَلَّ، فيدعها، ثم يقول: إنى لم أدعك إلا سآمة، فتقول: (كذلك يُعَذِّبك ربُّك إن لم تُسْلِم).

ويروي ابن سعد عن حسان بن ثابت ﷺ ما رآه من تعذيب لبيبة، يقول: قَدِمْتُ مكة معتمرًا، والنبي ﷺ وأصحابه يؤذَوْن ويُعَذَّبون، فوقفت على عُمَر وهو يخنق جارية حتى تسترخي في يديه، فأقول: قد ماتت، فاشتراها أبو بكر فأعتقها.

* * *

زنيرة الرومية
إيمـــان وثيـــق

وهذه زنيرة الرومية، كان عمر بن الخطاب وأبو جهل يعذبانها، واستمرًا في تعذيبها حتى عَمِيَت، فقال لها أبو جهل: إن اللات والعُزَّى هما اللتان فعلتا بك ما ترين، فقالت وهي لا تبصر: (وما تدري اللات والعزى من يعبدهما، ولكن هذا أمر من السماء، وربِّي قادر على أن يرد بصري) فأصبحت تلك الليلة وقد رد الله بصرها، فقالت قريش: هذا من سِحْرُ محمد، فاشتراها أبو بكر فأعتقها.

وأمثال سمية ولبيبة وزنيرة كثيرات، فهذه أم عنيس، وهذه النهدية وابنتها، وهذه حمامة أم بلال، وغيرهن، وغيرهن.

* * *

فاطمة بنت الخطاب
الحزم والحذر

رُوِي عن عائشة -رضي الله عنها- أن أبا بكر ﷺ ألحَّ على رسول الله ﷺ في الظهور أمام المشركين، حتى ظهر رسول الله ﷺ، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد، كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيبًا، فكان أول خطيب دعا إلى الله ورسوله، فثار المشركون على أبي بكر، وضربوه ضربًا شديدًا حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وجاءت بنو تيم[1]، فأجْلَت المشركين عن أبي بكر، وحَمَلت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله وهم لا يَشُكُّون في موته، وقالوا لأمه: انظري أن تطعميه شيئًا أو تسقيه إياه، فلما خَلَت به وسألته عن حاله، جعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت: والله مالي علم بصاحبك، فقال: اذهبي إلى فاطمة بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت فاطمة فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله، فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أذهب معك إلى ابنك، قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعًا دنفًا[2]، فدنت فاطمة منه وأعلنت

(١) بنو تيم: أهل وعشيرة أبي بكر ﷺ.
(٢) دنفًا: أشرف على الموت.

بالصياح، قائلة: والله إن قومًا نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله منهم، قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أُمُك تسمع، قال: لا شيء عليك منها، قالت: سالم صالح.

رائدة مِن الرائدات

إن هذه الفترة من تاريخ الدعوة التي يطلق عليها أهل السيرة: (سرية الدعوة) كان المسلمون فيها يستخفون بدينهم، ويُعَذَّبون ويُضطهَدون، وكانوا يتخذون من دار الأرقم مأوى يلتقون فيه بالنبي ﷺ، كما كانوا يتعبدون فيه أو في شعاب مكة بعيدًا عن أنظار المشركين في مجموعات أو فُرادى.

وكان قد أسلم من النساء في تلك الفترة ثلاث عشرة امرأة، وهن: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت الخطاب، وأم أيمن بركة، وسمية أم عمار، وأسماء بنت أبي بكر، وأم الفضل بنت الحارث امرأة العباس، وأسماء بنت عميس، وأسماء بنت سلامة، وفاطمة بنت المجلَّل، وفكيهة بنت يسار، ورملة بنت عوف، وأميمة بنت خلف، وبجلة بنت هناءة، رضي الله عنهن جميعًا.

لقد كانت تلك الفترة تحتاج إلى الحذر الشديد، ولقد شاركت النساء مع الرجال في تحمل أعباء هذه المرحلة، فكُنَّ أهلاً للقيام بالأعباء، وتحمل المسئوليات العظيمة، والتضحيات الجسيمة، مثلهن مثل الرجال، سواء بسواء.

إنكار واستفسار

فهذه فاطمة بنت الخطاب - رضي الله عنها - تذهب إليها أم أبي بكر لتسألها بأمر أبي بكر عن رسول الله، فتَرُدّ عليها بحرص وحذر : ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وفي نفس الوقت تحتال لتُخبِر بنفسها أبا بكر من جهة، ولتطمئن عليه من جهة أخرى، فتقول لأمه : **وإن كنت تحبين أذهب معك إلى ابنك**، فلما رأت أبا بكر أعلنت بالصياح كأنها لم تكن تعرف ما حلّ به، إمعانًا منها في التغطية على أمرهما.

حَذَرٌ وتَحْذِير

فقال لها ﷺ: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع، إنه الحذَر والتحذير من امرأة من جماعة المسلمين من فرد في معسكر المشركين، حتى ولو كان هذا الفرد أم أحدهم، وحتى لو كان المُحَذَّر من المسلمين غير مَحْرَم وغير قريب، إنها أخوة الإيمان ووحدة الصف.

وأبو بكر الصديق ﷺ يعرف النفوس وأخلاقها، فكيْف لا يعرف أمه البارة بابنها؟ لذلك قال لفاطمة عندما نبهته أن أمه قريبة منهما وتسمع كلامهما: لا شيء عليك منها، قالت: سالم صالح، قال: أين هو؟ قالت: في دار الأرقم.

فلم تنطق فاطمة بما تعلم إلا بعد الإذن وفي حدود السؤال فقط.

ولقد أسلمت الأم بعد ذلك، وانضمت إلى معسكر المسلمين، واستمرت القافلة في السير برجالها ونسائها.

المستُور ينكشف

وروى ابن إسحاق وابن سعد وأبو يعلَى والحاكم والبزار هذه القصة:

عندما علم عُمَر بإسلام أخته وزوجها، أسرع إليهما، وقرع عليهما الباب، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها آيات من سورة طه يعلمهما إياها، فلما سمعوا صوت عُمَر اختبأ خباب، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، ولكن عُمَر كان قد سمع قراءة خباب عليهما حين دنا من البيت، فلما دخل قال: ما هذا الصوت الذي سمعته؟ قالا له : لا شيء، فقال: والله لقد أُخبِرتُ أنكما تابعتما محمدًا على دينه، وضرب سعيد بن زيد، فقامت إليه فاطمة لتكُفَّه عن زوجها، فضربها وجرحها، فلما فعل ذلك قالا له: (نعم قد أسلمنا، وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك).

صبر يزلزل الكفر

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندِم على ما صنع، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءونها فأنظر ما الذي جاء به محمد، فقالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي، وحلَف لها بآلهته أن يردها إليهما بعدما يقرأها، فلما قال

ذلك طمعت فاطمة في إسلامه، فقالت: يا أخي أنت نجس على شركك، وإنه لا يمس القرآن إلا الطاهر، فقام عُمَر فاغتسل، فأعطته الصحيفة، فلما قرأ جزءًا منها قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه، فلما سمع ذلك خباب خرج إليه، فقال له: يا عمر، والله إنى لأرجو أن يكون الله ﷻ قد خَصَّك بدعوة نبيه، فإنى سمعته أمس وهو يقول : «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ»[(١)]، فالله الله يا عمر، وبالفعل أسلم عُمر ﷺ.

هكذا كان يلتقي المسلمون وقت التخفي والخوف من بطش قريش، فقد اتخذوا بيوتهم قبلة، والأسرة من الزوج والزوجة وأخ لهما في الله يجتمعون ويقرءون، ويعلِّم بعضهم بعضًا، ويعبدون ربهم، وبرغم هذا، ولحكمة يعلمها الله، يتوصل إليهم أهل البطش، ويقتحمون عليهم بيوتهم، ويوقعون بهم، وفي هذه القصة ظهر لنا من لطف الله الخفي أن ما وقع لهم من الترويع والتعذيب كانت ثمرته إسلام عمر ﷺ.

وفي هذه القصة تثبت لنا مشاركة المرأة في الدعوة إلى الله برغم تعرضها للأذى، وأنها تتلقى العلم والفقه مع الرجال، بل إن فاطمة بنت الخطاب -رضي الله عنها- هي التي تولت إقناع

(١) رواه الإمام الترمذي في سننه، كتاب المناقب عن رسول الله، باب في مناقب عمر بن الخطاب.

عمر بالإسلام، وإنها على علم بالفقه، حيث تعلم نجاسة الكفـار، فلم تقبل أن يمس عمر القرآن قبل أن يغتسل.

كما تعطينا هذه القصة أثر وقع الظلم على القلة المستضعفة، حتى إنهم لا يجدون ملجأ إلا إلى الله، فهـذا قـدوة الـدعاة إلى الله، محمـد ﷺ يدعو الله أن يعز الإسلام بأحد رجلين من الأقوياء، برغم ما كان يقـع منهما من عدواة للمسلمين، يـدعو الله لهمـا بالهدايـة، ولم يـدع عليهمـا بالهلاك، ويستجيب الله ﷻ دعاء رسوله ﷺ.

* * *

أسماء بنت أبي بكر
المهام الصعبة

تخبر عَائِشَة -رضي الله عنها- في حكايتها لقصة هجرة رسول الله ﷺ مع أبيها الصديق ﷺ: أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ ظُهْرًا فِي بَيْتِهِمْ وَلَيْس عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ إلا ابْنَتَاهُ: عَائِشَةُ وَأَسْمَاءُ، إِذَا هُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، وَكَانَ لا يُخْطِئُهُ يَوْمًا أَنْ يَأْتِيَ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ، فَلَمَّا رَآهُ أَبو بَكْرٍ جَاءَ ظُهْرًا، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إلا أَمْرٌ حَدَثَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ الْبَيْتَ، قَالَ لأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ» فَقَالَ: لَيْسَ عَلَيْكَ عَيْنٌ، إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ أَذِنَ لِي بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ»(١).

وتتابع عائشة - رضي الله عنها - روايتها، تقول: قَالَ -أبو بكر-: فَالصُّحْبَةُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَتْ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ(٢)، ووَضَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَأَوْكَأَتْ(٣) بِهِ الْجِرَابَ ... ثُمَّ لَحِقَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ ثَوْرٌ فَمَكُثَ فِيهِ ثَلاثَ لَيَالٍ(٤).

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار.

(٢) أحث الجهاز: أعجله وأسرعه.

(٣) أوكأت: ربطت.

(٤) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب التقنع.

وروي أن أسماء بنت أبي بكر كانت تأتيهما إذا أمست بما يصلحهما من الطعام، وقالت أسماء - رضي الله عنها - : لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام، فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ فقلت : والله لا أدري أين أبي، فرفع أبو جهل يده، وكان فاحشًا خبيثًا، فلطم خدي لطمة خرج منها قُرْطي(١).

أمينتا سر الدعوة

إنه موقف في غاية الخطورة والحساسية، إنه أمر السماء بأن يهاجر النبي ﷺ بعد أن اجتمعت قريش وأجمعت على قتله والتخلص منه ﷺ، ولذلك يتقنع النبي ﷺ ويخرج في ساعة ليس من عادته الخروج فيها، ويخبر أبا بكر ﷺ بالأمر بعد أن يحتاط فيقول لأبي بكر: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ» فيطمئنه أبو بكر بقوله: لَيسَ عَلَيْكَ عَيْنٌ، إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ.

نطاقان في الجنة

وتشرع البنتان في تجهيز الطعام للمهاجِرَيْن في سرعة وخِفة، فلا يجدان ما يربطان به جراب الطعام، فما كان من إحداهما إلا أن شقت نطاقها لتربط به الجراب، إذ لا وقت للبحث عن غيره، وروي أن النبي ﷺ قال عن أسماء: «إن لها نطاقين في الجنة»، فسُمِّيت ذات النطاقين.

(١) القرط: ما يعلق في الأذن من الحلي (الحَلَق).

ابنة العشرين

ونجد أن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- وكانت في العشرين من عمرها- كانت شريكة في مهام الهجرة وتأمينها، إنها تذهب ليلاً كل يوم إلى الغار الذي يبعد عدة كيلومترات عن مكة، في مكان مقفر موحش بين الجبال، وكل من في مكة ومن حولها في حالة استنفار هائل موتور للبحث عن أي خيط يوصلهم إلى محمد ﷺ وصاحبه.

لا أدري أين أبي

فهذا أبو جهل -عليه لعنة الله- يقتحم عليها الدار ويسألها عن أبيها، وبرغم رهبة الموقف، وغلظة أعداء الله، فإنها لا تزيد عن قولها: والله لا أدري اين أبي، فيلطمها الخبيث لطمة أطارت القرط من أذنها، فتتحمَّل محتسبة الأجر عند ربها.

بيوت الدعوة

من تلك المواقف ندرك أن بيوت الدعاة جزء من الدعوة، ففيها يتم ترتيب وتدبير أمور الدعوة، لذلك يقوم الدعاة بتأمين تلك البيوت تأمينًا لدعوتهم، إن البيت، كل البيت، من زوجة وأولاد، جزء من الدعوة، وهم أمان للدعوة، بل هم مشاركون فيها، وتوزَّع عليهم الأدوار، مثل تجهيز وإعداد مطالب المهام والأحداث، ومن دفاع وتأمين للأسرار، ولو تعرضت إحداهن للأذى بالضرب والإهانة، مثلما تعرضت أسماء وتحملت من عدو الله أبي جهل عندما أخفت الخبر الذي تعلمه.

رغم الأخطار

ونساء البيت مثل رجاله، لديهن الاستعداد للقيام بالمهام الصعبة، كما خرجت أسماء مرارًا ليلاً، وفي الظلام، لتذهب إلى الغار البعيد عن العمران، برغم الأخطار والمخاوف التي تَحُفُّ بالمهمة، وكان حاديها في هذا الخروج، الرغبة في نصرة الدعوة ودين الله، وتقديم ما يمكن تقديمه في سبيل الله.

* * *

مهاجرون ومهاجرات

يروي ابن إسحاق أنه في السنة الخامسة من البعثة، رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، فقال لهم : «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن فيها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله تعالى لكم فرجًا مما أنتم فيه»، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفرارًا إلى الله ﷻ بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام، وهاجرت المؤمنات مع أزواجهن، وكانت أول من هاجرت رقية بنت رسول الله ﷺ مع زوجها عثمان بن عفان، ثم تبعهم في هذا السبق العظيم وفي تركهم الدور والأوطان والأهل والأموال وكل المحاب فرارًا بدينهم ونصرًا لدعوتهم:

١- أبو سلمة بن عبد الأسد، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية رضي الله عنهما .

٢- السكران بن عمرو، وامرأته سودة بنت زمعة رضي الله عنهما.

٣- عامر بن ربيعة، وامرأته ليلى بنت أبي حثمة رضي الله عنهما .

٤- أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو رضي الله عنهما.

٥- أبو سبرة بن أبي رهم، وامرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو رضي الله عنهما .

الهتاف الأعظم

لم يكن أمر هذا الدين وحمله والدفاع عنه والدعوة إليه يدع أهله يعيشون في رفاهية ورخاوة عيش ونعومة ويسر وطمأنينة واستقرار، فالجنة غالية، والمقام فيها دائم، ونعيمها لا يزول، والأمن والرضا فيها كامل، وسُنَّة الله مع أهلها في الدنيا من أصحاب النفوس الطيبة الزكية، جهاد دائم للعدو والنفس «حُفَّت الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»[(١)]، «يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ»[(٢)]، فيستعين المؤمنون بربهم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[(٣)]، وهتافهم الدائم: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ رَبَّنَا وآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[(٤)]، فتكون الاستجابة من ربهم الكريم: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ[(٥)]﴾.

بعضكم من بعض

وهكذا يبين القرآن دستور المسلمين، سواسية المسلمين في الأحكام

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند سعد بن أبي وقاص.
(٣) الآية ٥ من سورة الفاتحة.
(٤) الآيتان ١٩٣، ١٩٤ من سورة آل عمران.
(٥) الآية ١٩٥ من سورة آل عمران.

والعمل والجزاء، ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ والسبب هو اشتراكهم في الأعمال ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ فهؤلاء المهاجرون رجالاً ونساءً قد أخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيل الله، وهذه سمية قتلت في سبيل الله، وعُذّبت مع أخواتها المؤمنات، وكان الخطاب في التكاليف دائمًا موجهًا للمرأة، كما كان موجهًا للرجل: «**لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكًا لا يُظلم عنده أحد**» . «**صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة**» فلم تُجَنَّب النساء ولم يُهْمَلن في شئون الدعوة إلى الله، فكم من السابقات سبقت في الهجرة والشهادة والتضحية قبل كثير من الرجال الأصحاب ﷺ.

هجرة ثانية

وعاد أصحاب النبي ﷺ من الهجرة الأولى إلى مكة، واشتد عليهم قومهم وسطت بهم عشائرهم، ولقوا منهم أذى شديدًا، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية، فكان خروجهم الثاني أعظم مشقة، ولقوا من قريش تعنيفًا شديدًا، لما بلغ قريش عن النجاشى من حسن جواره للمؤمنين.

قائمة الشَّرَف

وكان عدة من خرج في هذه الهجرة من الرجال ثلاثة وثمانين، وكان معهم من النساء عشرون امرأة، هن:

١- أسماء بنت عميس، وولَدت عبد الله وعون ومحمد أولاد

جعفر بن أبي طالب، وهي بالحبشة، رضي الله عنها .

٢- بركة بنت يسار، رضي الله عنها.

٣- حريملة بنت عبد الأسود الخزاعية، وماتت بأرض الحبشة، رضي الله عنها.

٤- حسنة أم شرحبيل، رضي الله عنهما.

٥- خزيمة بنت جهم العبدرية، رضي الله عنها.

٦- رقية بنت سيد الخلق ﷺ، ورضي الله عنها.

٧- أمينة بنت خلف، رضي الله عنها، وولدت بالحبشة سعيدًا لزوجها خالد بن سعيد.

٨- رملة بنت أبي عوف، وولدت بالحبشة عبد الله لزوجها المطلب بن أزهر، رضي الله عنهما.

٩- ريطة بنت الحارث، رضي الله عنها.

١٠- سهلة بنت سهيل بن عمرو، وولدت محمدًا لزوجها أبي حذيفة بن عتبة، رضي الله عنهما.

١١- سودة بنت زمعة، أم المؤمنين، رضي الله عنها.

١٢- عميرة بنت أسعد العامرية، رضي الله عنها.

١٣- فاطمة بنت صفوان بن أمية، رضي الله عنهما.

١٤- فاطمة بنت علقمة العامرية، رضي الله عنها.

١٥- فاطمة بنت المجلل، وولدت بالحبشة محمدًا والحارث، لزوجها حاطب بن الحارث الجمحي، وقد مات حاطب ﷺ وهو بأرض الحبشة.

١٦- فكيهة بنت يسار، رضي الله عنها.

١٧- ليلى بنت أبي حثمة، رضي الله عنها.

١٨- هند بنت أبي أمية، أم المؤمنين، أم سلمة رضي الله عنها.

١٩- أم حرملة بنت عبد الأسود، رضي الله عنها.

٢٠- أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو، رضي الله عنهما.

هؤلاء هن الصالحات السابقات من أولياء الله، منهن من هاجرت إلى الحبشة مرتين، ثم هاجرن جميعًا إلى المدينة، فسبقن غيرهن من الرجال في هذا الشأن.

وقد كانت يد قريش في عدائها للمسلمين تتطاول حتى تصل إلى المهاجرين في الحبشة، وتتخذ من الوسائل والحيل والدسائس عند ملك الحبشة للإيقاع بهم والإضرار لهم، وقد استدعى ملك الحبشة المسلمين، وقام بالتحقيق معهم جميعًا أمام جمع من قومه، وكان جعفر بن أبي طالب ﷺ خطيب القوم ذلك اليوم، فوفقه الله وأجاد، فخلَّى سبيلهم وأمَّنهم في مملكته.

من خلال أحداث تلك المرحلة من الدعوة، نلاحظ قيام الزوجات بواجبهن الدعوي إلى جانب أزواجهن، ومشاركتهن الدعوة بكل أعبائها، من قلق وخوف وترويع وترقب ومتابعة، وتغريب عن الأهل والأوطان، وهذا محمد بن حاطب -رضي الله عنهما- يروي أن أمه فاطمة بنت المجلل -رضي الله عنها- ولدته في السفينة أثناء الهجرة إلى الحبشة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَرْضًا ذَاتَ نَخْلٍ، فَاخْرُجُوا» فَخَرَجَ حَاطِبٌ وَجَعْفَرٌ فِي الْبَحْرِ قِبَلَ النَّجَاشِيِّ، فَوُلِدْتُ أَنَا فِي تِلْكَ السَّفِينَةِ[1].

وهكذا تحمّلت النساء مع الرجال -سواء بسواء- كل التضحيات من أجل الدعوة.

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، أول مسند الكوفيين، حديث محمد بن حاطب.

أم كلثوم بنت عقبة
فتاة هاجرت فنزل فيها قرآن

تقول -رضي الله عنها-: «كنت أخرج إلى بادية لنا فيها أهلي، فأقيم بها الثلاث والأربع، وهي ناحية التنعيم، ثم أرجع إلى أهلي، فلا ينكرون ذهابي البادية حتى أجمعت المسير، فخرجت يومًا من مكة كأني أريد البادية، فلما رجع من تبعني، إذا رجل من خزاعة، قال: أين تريدين؟ قلت: ما مسألتك؟ ومن أنت؟ قال: رجل من خزاعة، فلما ذكر خزاعة اطمأننت إليه لدخول خزاعة في عهد رسول الله ﷺ، فقلت: إني امرأة من قريش، وإني أريد اللحوق برسول الله ﷺ، ولا علم لي بالطريق، فقال: أنا صاحبك حتى أوردك المدينة، ثم جاءني ببعير فركبته، فكان يقود بي البعير، ولا والله ما يكلمني بكلمة، حتى إذا أناخ البعير تنحى عني، فإذا نزلت جاء إلى البعير فقيده بالشجرة، وتنحى إلى فيء شجرة، حتى إذا كان الرواح حدج البعير فقرَّبه وولَّى عني، فإذا ركبت أخذ برأسه فلم يلتفت وراءه حتى أنزل، فلم يزل كذلك حتى قدمنا المدينة، فجزاه الله من صاحب خيرًا، فدخلت على أم سلمة وأنا منتقبة، فما عرفتني حتى انتسبت وكشفت النقاب، فالتزمتني، وقالت: هاجرتِ إلى الله ﷻ وإلى رسوله ﷺ؟ قلت:

نعم، وأنا أخاف أن يردني كما ردَّ أبا جندل وأبا بصير، وحال الرجال ليس كحال النساء، والقوم قد طالت غيبتي اليوم عنهم خمسة أيام منذ فارقتهم، وهم يتحينون قدر ما كنت أغيب ثم يطلبوني، فإن لم يجدوني رحلوا، فدخل رسول الله ﷺ على أم سلمة، فأخبرته خبري، فرحَّب بي، فقلت: إني فررت إليك بديني فامنعني، ولا تردني إليهم يفتنوني ويعذبوني، ولا صبر لي على العذاب، إنما أنا امرأة، وضعف النساء إلى ما تعرف، وقد رأيتك رددت رجلين، فقال ﷺ: إن الله ﷻ قد نقض العهد في النساء، وحكم في ذلك بحكم رضوه كلهم»[١].

نَبْتَة خضراء

إنها فتاة شابة، آثرت الإسلام وصحبة الرسول الكريم على الأب والأم والإخوة، وهي ابنة من؟! ابنة أحد فوارس حلبة الشِّرك (عقبة بن أبي معيط)، فقد كانت كالنبتة الخضراء في الأرض القاحلة، ولقد جسَّدت هجرتها كل معاني الإيثار والصبر والوفاء لنصرة هذا الدين، أسلمت بمكة، وبايعت قبل الهجرة، وكانت هجرتها في هدنة الحديبية.

* * *

(١) ابن الجوزي، صفة الصفوة، (٢/ ٣٠).

تدبير وتخطيط

هذه الشابة الذكية الراسخة الإيمان، كانت تخرج إلى بادية لأهلها، فتقيم بها، فما ينكر أهلها ذلك، ففكرت بذكاء، وخططت بنور الإسلام، لقد حانت فرصة الخلاص والانعتاق.

شجاعة وفراسة

حتى إذا غادرت مكة وكأنها تريد البادية، وفؤادها يسابق قدميها قاصدًا المدينة، يعترضها رجل يسأل عن شأنها، وككل حرة ترتاب، وترفض تدخله، لكنها وبذكائها اللماح تجد فيه الطمأنينة، فهو من خزاعة التي دخلت في حِلف مع رسول الله ﷺ، وصدق حدسها، فكانت صحبته نعم الصحبة، رعاية وأمانة، حتى وصلت إلى مدينة رسول الله، وسط أخطار جمة أحاطت بالرحلة.

معزوفة الإيمان

ويبقى كلامها لرسول الله ﷺ: «إني فررت إليك بديني فامنعني، ولا تردني إليهم يفتنوني ويعذبوني، ولا صبر لي على العذاب، إنما أنا امرأة، وضعف النساء إلى ما تعرف» يبقى هذا الكلام كما لو كان معزوفة يُسْمِعُها الزمن لبنات جيلنا، فهي تحكي الرفض بأوتار الضعف والتوسل بالرسول ﷺ، حرصًا

على الإسلام، فأي ضعف هذا الذي يتسع لكل هذه التضحيات والأخطار!! إنها قوة الاستعطاف التي يحتاجها الموقف الكبير.

ولينصرن الله من ينصره

ويطَّلع الله على هذا المشهد، ويأبى ﷻ خذلان امرأة أرادت نصرته، وتهبط الآية الكريمة في أم كلثوم ومثيلاتها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

الامتحان

وتسعد أم كلثوم بالجوار والصحبة المباركة، ويأتي الامتحان لها وللنساء، فكانت المهاجرة تستحلف بالله أنها ما خرجت من بغض زوجها، ولا رغبة من أرض إلى أرض، ولا التماس دنيا، ولا عشقًا لرجل من المسلمين، بل حبًّا لله ولرسوله، فإذا حلفت بالله الذي لا إله إلا هو على ذلك، أعطى النبي ﷺ زوجها مهرها، وما أنفقه عليها ولم يردها.

---

(١) الآية ١٠ من سورة الممتحنة.

وامتحنت أم كلثوم -رضي الله عنها- فصدقت، وتزوجها زيد بن حارثة، ثم الزبير بن العوام بعد استشهاد زيد، ثم عبد الرحمن بن عوف، ثم عمرو بن العاص، فقد كانوا ﷺ يتحرون الزواج من ذوات السبق والتضحية في دين الله ﷻ.

وهكذا تكون عناية السماء بالسابقات المهاجرات المجاهدات، فينزل فيهن قرآن يُتْلَى ويتعبد به إلى يوم الدين، فلم يقتصر اهتمام القرآن على أحداث الرجال دون النساء، فهن كما قال ﷺ: «إِنَّ النِّسَاءَ شَقَائِقُ الرجال »[1].

* * *

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب الطهارة عن رسول الله، باب ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللاً ولا يذكر احتلامًا.

أسماء بنت عميس
شهادة تقدير نبوية

وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ، فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، فَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا، فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، وَكَانَ أُنَاسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا - يَعْنِي لأَهْلِ السَّفِينَةِ-: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ، وَدَخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ - وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا- عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً، وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا، فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، قَالَ عُمَرُ: الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ، الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟ قَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ، قَالَ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكُمْ، فَغَضِبَتْ وَقَالَتْ: كَلا وَاللَّهِ، كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارِ - أَوْ فِي أَرْضِ - الْبُعَدَاءِ الْبُغَضَاءِ بِالْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللَّهِ وَفِي رَسُولِهِ ﷺ، وَايْمُ اللَّهِ، لا أَطْعَمُ طَعَامًا، وَلا أَشْرَبُ شَرَابًا، حَتَّى أَذْكُرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذَى وَنُخَافُ، وَسَأَذْكُرُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَأَسْأَلُهُ، وَاللَّهِ لا أَكْذِبُ وَلا أَزِيغُ[1] وَلا أَزِيدُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا جَاءَ

(١) الزيغ: الميل عن الحق.

النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ عُمَرَ قَالَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «فَمَا قُلْتِ لَهُ؟» قَالَتْ: قُلْتُ لَهُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ» قَالَتْ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالاً يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، مَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ، مِمَّا قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ[1].

تنافُسٌ في الخير

ونعلم من هذه القصة وأمثالها مدى التنافس الحميد بين المسلمين، رجالهم ونسائهم، فهذا عمر بن الخطاب ﷺ يقول لأسماء بنت عميس: لقد سبقناكم بالهجرة، وترد عليه أسماء وتثبت حقها في السبق، ويصبح الأمر قضية ينشغل بها المجتمع، حتى يفصل فيها النبي ﷺ بالحكم «لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ» وبهذا قضى رسول الله ﷺ لأسماء بنت عميس وأصحابها بالسبْق على عمر، وهكذا ناضلت أسماء لإثبات حقها الشرعي، وها هي تبشّر وتَنْشُر هذا الأمر بين من كانوا يأتونها جماعات للسؤال عن حديث رسول الله ﷺ، وقضائه لهم بالسبْق في الهجرة والجهاد.

* * *

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر.

أم هانئ [1]
ذات الجوار المُحترَم

عن أُمِّ هَانِئٍ بِنْت أَبِي طَالِبٍ - رضي الله عنها - قالت: ذَهَبْتُ إِلَى رَسُول اللَّـهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ، وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِه؟» فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ» فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ قَامَ فَصَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ مُلْتَحِفًا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ ابْنُ أُمِّي عَلِيٌّ أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلاً قَدْ أَجَرْتُهُ[2]، فُلانُ بْنُ هُبَيْرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئ»[3].

ورُوي أن الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة - وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتلهما وإن تعلقا بأستار الكعبة - عندما بلغهما أن النبي ﷺ قد أجاز جوار أم هانئ، دخلا بيتها فأقاما يومين، ثم خرجا إلى منازلهما، فجلسا بأفنيتها لا يتعرض لهما أحد.

كيان له احترامه

إنها - رضي الله عنها - امرأة من المسلمين، يحتمى بها بعض من

(١) اسمها فاختة بنت أبي طالب، وهي ابنة عم الرسول ﷺ.
(٢) الإجارة: عهد بالمنع والحماية.
(٣) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب أمان النساء وجوارهن.

أمر رسول الله ﷺ بقتلهم، ويستجيرون بها فتُؤمنهم بجوارها، وهذا تدخل منها في أمر عظيم من أمور الدولة، وقد تقرر هذا الأمر بقرار حاسم من النبي ﷺ، قائد المسلمين ورئيسهم، وهو رسول الله، يوحَى إليه، فتتصدّر امرأة من قِبَل نفسها، وتتدخل في هذه الشئون، ويقبَل النبي ﷺ تدخُّلها، ويحترم جوارها لمن استحق القتل، ويوقف أمره بقتله.

وتؤكد عَائِشَةُ -رضي الله عنها- احترام المسلمين لجوار المرأة فتقول: «إِنْ كَانَت الْمَرْأَةُ لَتُجِيرُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَيَجُوزُ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ لَتَأْخُذُ لِلْقَوْمِ» يَعْنِي تُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ(٢).

انسيابية الحياة

وهكذا تمضي حياة المجتمع المسلم، في بساطة ويُسْر، وقناعة بأهمية الحياة، وبأهمية كل فرد في المجتمع، رجلاً كان أو امرأة، وبلا تعقيد ولا عقبات تمنع من انسياب الحياة؛ التي تتحقق فيها المنافع مع احترام الضوابط الشرعية سواء بسواء.

***

(١) رواه الإمام أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في أمام المرأة.
(٢) رواه الإمام الترمذي في سننه، كتاب السير عن رسول الله، باب ما جاء في أمان العبد والمرأة، وقال: حسن غريب.

أم عمارة وأم منيع
بيعة صرخ منها إبليس

عن كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ - وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ الْعَقَبَةَ وَبَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: «خَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ، فَوَاعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْعَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنَ الْحَجِّ، وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ... فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا، حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَتَسَلَّلُ مُسْتَخْفِينَ تَسَلُّلَ الْقَطَا، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَنَحْنُ سَبْعُونَ رَجُلاً، وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِمْ، نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ، أُمُّ عُمَارَةَ، إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي سَلِمَةَ، وَهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ...»[1].

إنه حدث هائل في التاريخ، تاريخ الدنيا، وتاريخ دعوة الإسلام، شهده النبي ﷺ، وتغير به وجه التاريخ، إن هذا الحدث يصدق فيه الوصف بأنه حدث كوني، ولخطورته صرخ إبليس - عليه لعنة الله - فسُمِع صوته، يقول كعب ﷺ: فَلَمَّا بَايَعْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَرَخَ الشَّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ الْعَقَبَةِ بِأَبْعَدِ صَوْتٍ سَمِعْتُهُ قَطُّ يَا أَهْلَ الْجُبَاجِبِ

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، مسند المكيين، حديث كعب بن مالك.

- وَالْجُبَاجِبُ الْمَنَازِلُ - هَلْ لَكُمْ فِي مُذَمَّمٍ[١] وَالصُّبَاةُ مَعَهُ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ[٢].

وتحضر هذا الحدث امرأتان جليلتان، فتبايعان رسول الله ﷺ مع الرجال المختارين بعناية السماء، وتتسلل المرأتان ليلاً، وتخرجان مع الرجال، فيجتمعون برسول الله ﷺ في خفاء من قومهم ومن المشركين، مشاركة منهما في أعظم وأهم أحداث الدعوة.

***

(١) يقصد - عليه لعنة الله - بالمذمم: محمدًا ﷺ.
(٢) من الحديث السابق.

نُسَيْبَة بنت كعب
امْرأة بألـف رَجُل

استيعاب للدَّوْر

إنها نسيبة -أم عمارة- إحدى المرأتين اللتين بايعتا النبي ﷺ عند العقبة، ها هي تعود إلينا في موقف آخر، بل مواقف، إنها كانت تدرك أبعاد البيعة التي بايعتها للنبي ﷺ، وكانت تدرك كم التضحيات التي تتطلبها هذه البيعة.

لقد خرجت أم عمارة يوم أُحُد مع زوجها وابنيها، لتضرب أروع وأخلد الأمثلة لنساء المسلمين، فقد خرجت - رضي الله عنها - مع جُند الحق لتسقي العطشى وتداوي الجرحى، شأنها شأن باقي نساء المسلمين، ولكن الله ﷻ أراد لها زيادة في الشرف.

بطولة نادرة

خرجت -رضي الله عنها- ومعها سِقَاء فيه ماء، وكانت بجوار النبي ﷺ، فلما انهزم المسلمون انحازت إلى رسول الله ﷺ، فتركت السقاء وهبَّت تدافع عن النبي ﷺ بالسيف، وترمي بالقوس، حتى خلصت الجراح إليها، فقد برز ابن قَمِئة -عليه لعنة الله- يريد قتل رسول الله ﷺ، فوقفت بينه وبين النبي ﷺ،

فضربها على عاتقها[١] ضربة شديدة، فجرحها جُرحًا غائرًا كبيرًا، فضربته عدة ضربات، ولكن عدو الله كانت عليه درعان[٢]، وبقيت تقاتل دفاعًا عن الحبيب ﷺ حتى أصابها اثنا عشر جُرحًا[٣].

المقام الكريم

ولقد أثبت النبي ﷺ لنسيبة هذا الفضل، وأنها بفعلها في يوم أُحُد قد فاقت الكثير من الرجال، فقد قال ﷺ: **«لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان»**، وقال ﷺ: **«ما التفت يمينًا ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني»**، وقال لابنها عبد الله: **«بارك الله تعالى عليكم أهل بيت، مقام أمكم خير من مقام فلان وفلان، ومقام زوج أمك غزية بن عمرو خير من مقام فلان وفلان، رحمكم الله أهل بيت»**.

أمنية غالية وهمة عالية

ولما سمعت أم عمارة ثناء النبي ﷺ عليها وعلى أسرتها، وجدتها فرصة لتنال أغلى أمنية لديها، فقالت للنبي ﷺ: **ادعُ الله** تعالى أن نرافقك في الجنة، فما كان من النبي ﷺ إلا أن استجاب لها فورًا، فدعا ربه ﷻ قائلاً: **«اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة»**، فقالت نسيبة

(١) العاتق: ما بين الكتف والعنق.
(٢) الدرع: ما يلبس على الجسم للوقاية في الحرب.
(٣) السيرة النبوية، لابن هشام، بتصرف يسير.

بعد أن سمعت بشرى ودعاء النبي ﷺ: فما أبالي ما أصابني من أمر الدنيا بعد ذلك.

الجُرحُ يهدأ

ونراها في مشهد آخر يوم اليمامة، والمسلمون يقاتلون المُدَّعي الكذاب مسيلمة، لقد خرجت مع ابنها عبد الله في جيش المسلمين وهدفها أن ترى الكذاب صريعًا، وكان اللعين قد قتل ابنها حبيبًا عندما أرسله النبي ﷺ إليه، مما ترك في نفسها جرحًا عميقًا يوازي جرح عاتقها في أحد.

وقاتلت أم عمارة يوم اليمامة فقطعت يدها وهي تريد مسيلمة الكذاب لتقتله، وهدأت ثارتها حين أبلغها عبد الله بمصرع مسيلمة، وزهوق روحه الخبيثة، وأخبرها أنه شارك في قتله، وأمسك بيدها وأتى بها إلى حيث تمددت جثة الكذاب، فقالت: **ما كانت لي ناهية حتى رأيت الخبيث مقتولاً.**

نحتاج إليها

إن في فعل نسيبة وغيرها من نساء الصحابة دليل على حاجتنا اليوم إلى أن تحمل المرأة المسلمة عبء الدعوة إلى الله من جديد، وتساهم كما ساهم هؤلاء النسوة في الكفاح في سبيل دعوة الإسلام، في أوساط الفتيات والزوجات والأمهات، ولتغرس في أطفالها حب الله ورسوله، والاستمساك بالإسلام

وتعاليمه، والرغبة في الجهاد، ولا يُقْعِدهُن أزواجهن، أو يَقْعُدْن خشية الأخطار، وما يلحق بهن إن شاركن في الدعوة إلى الله، فقد تعرضت النساء الأُوَل -رضي الله عنهن- لأعظم الأخطار، من قتل وجرح وأسر، وتحمَّلن الأعباء الجسيمة من مشاق السفر والجوع والخوف، وتَرْك الأهل والولد والبيت، فهذه سُنَّة مقررة، وضرورة تحتاجها الدعوة.

***

مجاهدون ومجاهدات

إن نساء المسلمين جميعهن - وليست نسيبة وحدها - لم يفتهن شرف الجهاد، ونصرة الحق، جنبًا إلى جنب مع الرجال، وتلك مجرد أمثلة لجهادهن:

فعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا[١]، تُنْقِزَانِ الْقِرَبَ[٢] عَلَى مُتُونِهِمَا[٣]، تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلآنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِها فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ[٤].

وعَنْ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ قَالَتْ: كُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَسْقِي الْقَوْمَ وَنَخْدُمُهُمْ، وَنَرُدُّ الْجَرْحَى وَالْقَتْلَى إِلَى الْمَدِينَةِ[٥].

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا، فَكَانَ مَعَهَا، فَرَآهَا أَبو طَلْحَةَ فقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ، فَقَالَ

---

(١) خدم سوقهما: الخلاخيل، وكان هذا قبل الحجاب.

(٢) تنقزان القرب: ينقلانها في خفة وسرعة.

(٣) متونهما: ظهورهما.

(٤) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسِّير، باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال.

(٥) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب رد النساء الجرحى والقتلى إلى المدينة.

لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا هَذَا الْخَنجَرُ» قَالَتْ: اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِن الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَه، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ(١).

وعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الأَنْصَارِيَّةِ - رضي الله عنها - قَالَتْ: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ أَخْلُفُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ، فَأَصْنَعُ لَهُمُ الطَّعَامَ، وَأُدَاوِي الْجَرْحَى، وَأَقُومُ عَلَى الْمَرْضَى(٢).

لا نمنعهن

لم يُضَيِّق الشرع على المرأة أن تخرج للجهاد رغم ما فيه من مشقة بالغة وما يحتاجه من غلظة وقسوة، قد يبدو في الظاهر أنها تخالف مشاعرها الرقيقة، ولكن المرأة إذا آنست في نفسها القوة والقدرة على المشاق والجهاد فلا يمنعها الشرع أن تشارك بجهودها مع الرجال.

وقد أوضح ابن عباس -رضي الله عنهما- أن ذلك كان سنة النبي ﷺ، فقد أرسل إليه أحد الخوارج يسأله عن عدة مسائل، منها: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْزُو بِالنِّسَاءِ؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ: «كَتَبْتَ تَسْأَلُنِي: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْزُو بِالنِّسَاءِ؟ وَقَدْ كَانَ يَغْزُو بِهِنَّ، فَيُدَاوِينَ الْجَرْحَى، وَيُحْذَيْنَ مِنْ الْغَنِيمَةِ..»(٣).

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة النساء مع الرجال.
(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم.
(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب النساء الغازيات يرضخ لهن.. ويحذين أي: يعطين.

وقد ذكر ابن بطال وابن حجر في شرحهما للبخاري أن القتال ليس واجبًا على النساء كما وجب على الرجال، ولا يعني ذلك تحريمه عليهن، بل لهن أن يتطوعن.

وعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا- زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَقْرَعَ[١] بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَمَا نَزَلَ الْحِجَابُ..»[٢].

شاهد بجزيرة قبرص

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أن النبي ﷺ رأى رؤيا في منامه استيقظ منها ضاحكًا، فقالت له أُمُّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ[٣] هَذَا الْبَحْرِ، مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ»، فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنهمْ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالت: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ..» كَمَا قَالَ فِي الأَوَّلِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ» فَرَكِبَتْ الْبَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَصُرِعَتْ عَنْ

(١) أقرع: أجرى بينهن القُرعة.
(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب لولا إذ سمعتموه..
(٣) الثبج: ظهر الشيء ووسطه.

دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ»[١].

وفي رواية أبي داود: فَتَزَوَّجَهَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، فَغَزَا فِي الْبَحْرِ، فَحَمَلَهَا مَعَهُ، فَلَمَّا رَجَعَ قُرِّبَتْ لَهَا بَغْلَةٌ لِتَرْكَبَهَا فَصَرَعَتْهَا، فَانْدَقَّتْ عُنُقُهَا فَمَاتَتْ. وقَالَ أَبو دَاوُد: وَمَاتَتْ بِنْتُ مِلْحَانَ بِقُبْرُصَ»[٢]. ولا يزال قبرها إلى الآن يُزَار، ويعرف لأهل قبرص بقبر الشهيدة، ليصبح شاهد كل عصر على خروج النساء للجهاد مع الرجال.

إنه الإقرار والتشريع بخروج المرأة للجهاد والاستشهاد، ولو بركوب أخطار البحر، فهن يخرجن مع المقاتلين يسقين ويتعاهدن الجرحى ويخدمن المقاتلين، فإذا دعت الحاجة شاركن في القتال دون تردد، والأمثلة التي ذكرناها فيها أبلغ دلالة على ذلك، ولا تحتاج إلى تفسير.

* * *

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء.

(٢) رواه الإمام أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب فضل الغزو في البحر.

رُفَيْدَة الأسلمية
أول طبيبة ميدانية

ذكر ابن سعد في الطبقات أنه لما أصيب سعد بن معاذ ﷺ يوم الخندق، قال رسول الله ﷺ: «اجعلوه في خيمة رفيدة التي في المسجد، حتى أعوده من قريب».

خيمة الخير

لقد ارتبط اسمها بخيمتها، مع كل غزوة من غزوات النبي ﷺ، وظهرت خيمة رفيدة على مسرح الأحداث بدءًا من يوم أُحُد، تستضيف الجرحى، تضمد جراحاتهم، وتسعفهم، وتسهر على راحتهم، وتواسيهم.

تميُّز وتفرُّد

كانت ﷺ قارئة كاتبة، قد استهوتها حرفة التمريض، ومهنة التطبيب والمداواة، وتفوقت في ذلك حتى اشتهر عنها، وعُرِفَت بين الناس قاطبة.

أضف إلى ذلك أنها كانت صاحبة ثروة واسعة، ومال جزيل، مع كرم وسخاء، وعطاء غير محدود.

أوَّل الظهور

ولما عاد المسلمون من بدر منتصرين، وماجت المدينة بالفرحة، كان

بين العائدين بعض الجرحى، فمنهم من عالجه أهله في داره، ومنهم من لم يكن له مال، ولا سكن، ولا أهل. في تلك الأثناء تطوعت رفيدة -رضي الله عنها- لخدمة هؤلاء، بإسعافهم وتضميد جراحهم، ومداواتهم، وتقديم الغذاء والدواء، فنصبت في المسجد خيمة، حيث تَجَمُّعُهُم، وحملت معها أدواتها وعقاقيرها، وعكفت على علاجهم أيامًا، حتى برئوا واندملت جراحهم، وعادت إليهم عافيتهم.

مستشفى المدينة

واضحت خيمة رفيدة عَلَمًا، لقد كانت هذه الخيمة في ناحية من مسجد رسول الله ﷺ أشبه بالمستشفى، فيه الأسِرَّة، والعقاقير والأدوية، والأربطة والضمادات، وأدوات الجراحة والإسعافات، ويعاونها في عملها بعض نساء الصحابة من المتطوعات -رضي الله عنهن-.

وكانت ﷺ تخرج في الغزوات، وتنقل معها خيمتها بكل متطلباتها وأدواتها واحتياجاتها فوق ظهور الجمال، ثم تقيمها بإزاء معسكر المسلمين، حيث تنضم إليها الصحابيات -رضوان الله عليهن- في العمل، العمل الذي يحتاج إلى يد حانية، وقلب عطوف، وكلمة مشجعة.

جهاد ونفقة

أما الأغرب والأعجب من عمل رفيدة -رضي الله عنها- هذا، فهو إنفاقها عليه من حُرِّ مالها، وخالص ثروتها، متطوعة بالجهد والمال

في سبيل الله، وإن كانت لا ترد يد باذل ومساعد.

هذه الصورة المشرّقة المشرّفة، باركها رسول الله ﷺ، وبارك صاحبتها، وأيّدها[١].

جيوش من النساء

إن وراء الجيوش جيوشًا كثيرة، تعدها وتمدها وتعززها، حتى تثبت وتنتصر، وفي عصورنا الحديثة أصبحت الحاجة للنساء في القيام بهذه المهام ضرورة لا يُستَغنَى عنها، ثم إن التقدم المدني وتعقد الحياة، وكثرة الحوادث والأمراض، كل ذلك يستدعي أن تتعلم المرأة المسلمة شئون التمريض والإسعافات، وغير ذلك من الفنون، حتى تكفي بيتها ومجتمعها القريب، بالمشاركة والتعلم والتعليم.

* * *

(١) محمد علي قطب، سلسلة من أعلام الصحابيات، دار الدعوة.

صفية بنت عبد المطلب
أول من قتلت مشركًا

روى ابن هشام في سيرته أنه عندما خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق، جعل النساء والصبيان في حصن مرتفع لحسان بن ثابت، وجعله معهن، وقد ناهز الستين، تقول صفية -رضي الله عنها-: فمر بنا رجل من يهود، فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربَت بنو قريظة، وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آتٍ، فقلت: يا حسان، إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن، وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا مَن وراءنا من يهود، وقد شُغِل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه، فانزل إليه فاقتله، قال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، فلما قال لي ذلك، أخذت عمودًا، ثم نزلتُ من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى قتلته، فلما فرغتُ منه رجعت إلى الحصن، فقلتُ: يا حسان: انزل إليه فاسلبه، فإنه لم يمنعني من سلَبه إلا أنه رجل، قال: ما لي بسلبه من حاجة(١).

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، (٣/ ٩٦) بتصرف يسير.

حامية الظهور

إنها عمة رسول الله ﷺ، وأخت حمزة أسد الله، وأم الزبير بن العوام حواري الرسول الكريم.

والموقف لا يحتاج إلى كثير تعليق، ففي تلك الساعات الحالكة، والمسلمون في نحور أعدائهم، والمدينة خالية من الرجال، والأعداء يجتمعون على المسلمين، والموقف كما وصفه الله ﷻ: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا[1]﴾- في تلك الساعات الرهيبة، لا تفقد المرأة المسلمة أعصابها، وتظل متماسكة متحفزة، عندها الاستعداد الكافي لحماية ظهور المقاتلين، حتى ولو تقاعس عن هذا الواجب الرجال.

الحياء محفوظ

لعل من السهل جدًّا أن تتعلم المرأة كيف تقاتل، بل وكيف تقود طائرة حربية أو حتى دبابة، أو تضغط على زر معين في صاروخ لينطلق نحو الهدف، بيد أن من الصعب أن تحافظ مع هذا كله على كونها امرأة مسلمة، متميزة بخُلقها وحيائها، واستطاعت صفية -رضي الله عنها- أن تفعل ذلك، فقد نزلت من الحصن، وقتلت اليهودي، ولكن حياءها

(١) الآيتان ١٠، ١١ من سورة الأحزاب.

كمسلمة منعها من أن تمسَّه لتأخذ سلَبه، «فإنه لم يمنعني من سلَبه إلا أنه رجل» فتركته ودعت إليه رجلاً مثله ليأخذ السلب. إنه الحفاظ على الثوابت والمبادئ، التي طالما باعها أناس وتخلوا عنها، بدعوى التحرر والتقدم.

متى يتعين القتال على المرأة؟

اتفق علماء المسلمين على أن المرأة كالرجل في وجوب الجهاد والقتال عليها إذا دهم أعداء الإسلام أرض المسلمين، ولذا يجب تهيئة المرأة للجهاد كلما توقع المسلمون دخول الأعداء إلى بلادهم، بجانب أن المرأة يجب عليها الدفاع عن نفسها وعِرضها ومالها، إذا دعا لذلك داعٍ.

* * *

حلقات علم للنساء

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِي ﷺ قال: جَاءت امْرَأَةٌ إِلَى رَسُول اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ، تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ: «اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا» فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ..[(١)].

إن العلم الشرعي وغيره، ليس قاصرًا على الرجال دون النساء، وتعليم النساء في حلقات خاصة بهن بدأه النبي ﷺ، فعلمهن مما علمه الله، اجتمعن بأمره في اجتماع منتظم في مكان وزمان محدَّدَيْن، وكانت النساء يغشين المساجد للصلاة وسماع العلم مع الرجال، ويجلسن في صفوف خلف الرجال، وبلا ساتر مادي، إلا ساتر الحياء وتقوى الله ﷻ، ورُوي عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا اسْتَأْذَنَتْ امْرَأَةُ أَحَدِكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلا يَمْنَعْهَا»[(٢)].

وعَنْ عَاتِكَةَ بِنْتِ زَيْدٍ امْرَأَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهَا كَانَتْ تَسْتَأْذِنُ

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب تعليم النبي أمته من الرجال والنساء..

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب استئذان المرأة زوجها في الخروج إلى المسجد وغيره.

عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَسْكُتُ، فَتَقُولُ: وَاللَّهِ لأَخْرُجَنَّ إلا أَنْ تَمْنَعَنِي، فَلا يَمْنَعُهَا(١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً(٢) فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ، فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَامَت امْرَأَةٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَحَكَّتْهَا، وَجَعَلَتْ مَكَانَهَا خَلُوقًا(٣)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا»(٤).

فهي مخالطة ومشاركة طاهرة ومنضبطة بآداب الشرع، وعن أَسْمَاءَ بِنْت يَزِيد -رضي الله عنها- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ فِي الْمَسْجِدِ يَوْمًا وَعُصْبَةٌ مِنْ النِّسَاءِ قُعُودٌ، فَأَلْوَى(٥) بِيَدِهِ بِالتَّسْلِيمِ(٦).

وعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ(٧).

* * *

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ، كتاب النداء للصلاة، باب ما جاء في خروج النساء إلى المساجد.
(٢) النخامة: ما يخرجه الإنسان من بصاق.
(٣) الخلوق: نوع من الطيب أصفر اللون.
(٤) رواه الإمام النسائي في سننه، كتاب المساجد، باب تخليق المسجد.
(٥) الوى: أشار.
(٦) رواه الإمام الترمذي في سننه، كتاب الاستئذان والآداب عن رسول الله، باب ما جاء في التسليم على النساء، وقال: حديث حسن.
(٧) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر.

الاختلاط المنضبط

عَنْ أُمِّ الْعَلاءِ -رضي الله عنها- قَالَتْ: عَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مَرِيضَةٌ، فَقَالَ: «أَبْشِرِي يَا أُمَّ الْعَلاءِ، فَإِنَّ مَرَضَ الْمُسْلِمِ يُذْهِبُ اللَّهُ بِهِ خَطَايَاهُ، كَمَا تُذْهِبُ النَّارُ خَبَثَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ»(١).

وعن جَابِرِ بْن عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ، فَقَالَ: «مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ تُزَفْزِفِينَ(٢)؟» قَالَت: الْحُمَّى لا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، فَقَالَ: «لا تَسُبِّي الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»(٣).

وعَنْ سَهْلِ بن سعد ﷺ قَالَ: لَمَّا عَرَّسَ(٤) أَبو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ دَعَا النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ، فَمَا صَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، وَلا قَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ إلا امْرَأَتُهُ أُمُّ أُسَيْدٍ، بَلَّتْ تَمَرَاتٍ فِي تَوْرٍ(٥) مِنْ حِجَارَةٍ مِن اللَّيْلِ، فَلَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ مِن الطَّعَامِ أَمَاثَتْهُ(٦) لَهُ، فَسَقَتْهُ تُتْحِفُهُ(٧) بِذَلِكَ(٨).

---

(١) رواه الإمام أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب عيادة النساء.

(٢) تزفزفين: ترتعدين في حركة سريعة لها صوت.

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك.

(٤) عرَّس وأعرس: أي تزوج.

(٥) التور: القدر الكبير.

(٦) أماثته: أذابته.

(٧) تتحفه: تخصه.

(٨) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب قيام المرأة على الرجال في العرس وخدمتهم بالنفس.

وعَن الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةَ بُنِيَ عَلَيَّ فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي[١].

وعن أَسْمَاءَ بِنْتَ يَزِيدَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: إِنِّي قَيَّنْتُ عَائِشَةَ[٢] لِرَسُول اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ جِئْتُهُ فَدَعَوْتُهُ لِجِلْوَتِهَا، فَجَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِهَا، فَأُتِيَ بِعُسٍّ[٣] لَبَنٍ فَشَرِبَ، ثُمَّ نَاوَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَخَفَضَتْ رَأْسَهَا، فَانْتَهَرْتُهَا وَقُلْتُ لَهَا: خُذِي مِنْ يَدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخَذَتْ فَشَرِبَتْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «أعْطِي تِرْبَكِ[٤]» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَلْ خُذْهُ فَاشْرَبْ مِنْهُ، ثُمَّ نَاوِلْنِيهِ مِنْ يَدِكَ، فَأَخَذَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ، ثُمَّ نَاوَلَنِيهِ، فَجَلَسْتُ ثُمَّ وَضَعْتُهُ عَلَى رُكْبَتِي، ثُمَّ طَفِقْتُ أُدِيرُهُ وَأَتْبَعُهُ بِشَفَتَيَّ، لأُصِيبَ مِنْهُ مَشْرَبَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ لِنِسْوَةٍ عِنْدِي: «نَاوِلِيهِنَّ» فَقُلْنَ: لا نَشْتَهِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا تَجْمَعْنَ جُوعًا وَكَذِبًا»[٥].

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَفْرَحُ بِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، كَانَتْ لَنَا عَجُوزٌ تَأْخُذُ أُصُولَ السِّلْقِ[٦]، فَتَجْعَلُهُ فِي قِدْرٍ لَهَا، فَتَجْعَلُ فِيهِ حَبَّاتٍ مِنْ شَعِيرٍ، إِذَا صَلَّيْنَا زُرْنَاهَا فَقَرَّبَتْهُ إِلَيْنَا، وَكُنَّا نَفْرَحُ بِيَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ[٧].

---

(١) جزء من حديث رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا.
(٢) قينت عائشة: زينتها وأصلحتها.
(٣) العس: القدح الكبير.
(٤) التِّرب: المقارب في السن، والجمع أتراب.
(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده، من مسند القبائل، من حديث أسماء بنت يزيد.
(٦) السلق: نوع من الخضراوات.
(٧) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب السلق والشعير.

مئات المواقف والأحداث، تشهد في عصر النبوة وبعده انسياب المجتمع المسلم، بلا حواجز نفسية أو مادية، وذلك في ظل آداب وضوابط إسلامية، تجعل الحياة بين الجنسين مترابطة ومتجاوبة ونافعة، تؤدي إلى خدمة الجميع، مع الحرص على طهارة القلوب كلها من الظنون الفاسدة والعوائق المانعة.

* * *

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الخاتـــمة

الرفيق والشريك

إن المرأة أكثر من نصف المجتمع، أو هي نصفه، ودورها في هذا المجتمع يبدأ بتوالد أفراد المجتمع من أحشائها، وتحت رعايتها يتربَّى أفراد المجتمع، كل أفراد المجتمع، رجالاً ونساءً، يدفع بهم من خلال البيوت التي ترعاها النساء، فالأم مدرسة، إن أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق، فهي التي تربى، وهي التي تتلقى الرجال فتخفف عنهم ويلات ما يلاقون في حياتهم، وهي التي تهيئ الأزواج والزوجات لتكوين البيوت الجديدة، فهي لا تضيف - فقط - للمجتمع أفرادًا، ولكن هي التي تضيف للمجتمع أيضًا بيوته، وهي التي إن أُهْمِلَت تتولى إفساد المجتمع، كل المجتمع، بل هي وسيلة شياطين الإنس والجن في إشاعة الرذيلة والفساد في الحياة.

فلنساعدها وندفعها

فجدير بكل راغب للفضيلة، وطالب للقيم، وعامل لتحقيق شرع الله في أرضه، أن يتبنى تربية المرأة في حدود رعايته، وأن

يدفعها ويساعدها على القيام بدورها في المجتمع، وفي الحياة، كما شرع الله ﷻ في دينه، وكما فعل وبين رسول الله ﷺ في ضوء هذه المواقف القليلة التي عرضناها، وغيرها من المواقف الكثيرة التي لا تُحصَى في تاريخ هذه الأمة.

* * *

الفهرس

الإهداء ٣

تقديم الشيخ الخطيب .... [illegible]

المقدمة ٩

خديجة بنت خويلد ١١

أم سلمة ١٧

سمية بنت خياط ٢٠

أم شريك ٢٤

لبيبة ٢٦

زنيرة الرومية ٢٧

فاطمة بنت الخطاب ٢٨

أسماء بنت أبي بكر ٣٤

مهاجرون ومهاجرات ٣٨

أم كلثوم بنت عقبة ٤٤

أسماء بنت عميس ٤٩

أم هانئ ٥١

أم عمارة وأم منيع ٥٣

نسيبة بنت كعب ٥٥
مجاهدون ومجاهدات ٥٩
رفيدة الأسلمية ٦٣
صفية بنت عبد المطلب ٦٦
حلقات علم للنساء ٦٩
الاختلاط المنضبط ٧١
الخاتمة ٧٥
الفهرس ٧٧

* * *

هذا الكتاب

في صفحات قليلة يطوف بنا الكاتب في بستان الدعوة، يزكي خلالها نفوسنا بأطيب العطور، عطر أمنا الحبيبة خديجة، وسيداتنا: أسماء بنت أبي بكر، وفاطمة بنت الخطاب، ونسيبة بنت كعب، وغيرهن، رضي الله عنهن جميعا.

وقد حاول من خلال سيرة هؤلاء الطاهرات فتح آفاق المشاركة الإيجابية الواعية أمام المرأة المسلمة لتؤدي دورها في حمل دعوة الحق أسوة بأخواتها اللاتي سبقنها في عصور سابقة، وذلك من خلال استقراء النصوص المحكمة من السنة المطهرة، والتي تعبر عن روح الإسلام في موقفه من المرأة.

نسأل الله عز وجل أن ينفع بهذه الكلمات جميع المسلمين والمسلمات، وأن يتقبله منا، إنه على ما يشاء قدير.

قطر الندى